مضمون خطاب الوصية

تعريف الوصية:

لغة: ورد في لسان العرب: وصي : أوصى الرجل ووصاه : عهد إليه ; قال رؤبة: وصاني العجاج فيما وصني
أراد : فيما وصّاني ، فحذف اللام للقافية . وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلتَه وصيَّك . وأوصيته ووصيته إيصاء وتوصية بمعنى. وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضا. وفي الحديث : استوصوا بالنساء خيرا ; فإنهن عندكم عوان ، والاسم الوصاة والوَصاية والوِصاية. والوصية أيضا: ما أوصيت به. والوصي: الذي يوصي والذي يوصى له، وهو من الأضداد. ابن سيده : الوصي الموصي والموصى ، والأنثى وصي ، وجمعهما جميعا أوصياء ، ومن العرب من لا يثني الوصي ولا يجمعه. الليث: الوصاة كالوصية: وأنشد:

ألا من مبلغ عني يزيدا وصاة من أخي ثقة ودود

يقال: وصي بين الوصاية. والوصية: ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت.

تعريف الوصية اصطلاحا:

تُعد الوصايَا من أبرز الفنون النثرية التي تحمل في ثناياها تجارب وخبرة الموصي التي استخلصها في حياته، وعبر عنها عن طريق كلمات تحمل خبرة السنين الماضية.

كما يُعرف فن الوصايا بأنه تراث أدبي راقٍ في مضمونه وأسلوب صياغته، ولا ترتبط الوصية بأشخاص معينين فقد صدرت من الأم والأب والحكيم وغيرهم في جميع المناسبات.
وكانت تصور الوصية من شخص له خبرة في الحياة مرَّ بالعديد من الأحداث التي أكسبه الحكمة والخبرة وكان يُلقيها على مسامع من يحب بهدف النصح والانتفاع بها في حياته.

عناصر الوصية في الأدب:

مقدمة: وهي توطئة وتمهيد يبدأ فيه الموصي الوصية وكان ينتقي كلمات مقدمته بهدف جذب انتباه الموصى إليه والتأثير فيه.
محتوى وموضوع: يعرض الموصي من خلال وصيته أفكاره بأسلوب واضح مُقنع.

خاتمة: تحتوي على موجز لغرض الوصية.

أنواع الوصايا في العصر الجاهلي:

- وصايا الحكام لولاة الأمر والقادَة.

- وصايا الحكماء لأولادهم أو لأبناء القبيلة.

- وصايا عقد الزواج وكانت تصدر في الغالب من الأم لابنتها قبل ذهابها لبيت زوجها.

- وصايا الحرب والقتال وكانت تحث على التحلي بالشجاعة وعدم الخوف والهروب من المعركة.

من أمثلة الوصايا في العصر الجاهلي:

- وصية **عوف بن كنانة** يوصي بها ابناءه:

"ولا يُخجلنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن مناكحة الكرام مدارج الشرف".

- بل اشتهرت بعض وصايا نساء العرب في عصر الجاهلية، وأضحت من عيون التراث العربي منذ أكثر من ألف وخمسمئة عام وإلى يومنا هذا، تأتي وصية **أُمامة بنت الحارث** لابنتها أم إياس وقت زواجها من ملك كندة الحارث بن عمرو جدّ الشاعر الجاهلي الشهير امرئ القيس على رأس هذه الوصايا الأكثر شهرة، فقد تميزت بالوضوح والجزالة والحكمة والنصح النافع للأبناء كل وقت، تقول أُمامة في وصيتها لابنتها أم إياس:

"أي بنية، إن الوصية لو تُرِكَت لفضل أدب، تُرِكَت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل... أي بُنية، إنكِ فارقتِ الجو الذي منه خرجت، وخلّفتِ العُش الذي فيه درجتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكِه عليك رقيبا ومليكا؛ فكوني له أمَة يكن لك عبدا وشيكا. يا بُنية، احملي عني عشر خصال تكن لك ذُخرا وذكرا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة،

والتعهُّد لمَوقع عينه، والتفقد لمَوضع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح...".

وهي وصية جامعة مفيدة لكل مُقبلة على الزواج حرصت على تبيان مجالات الرضا، والنظافة ومعانيها وأهميتها، ورعاية الزوج وحقوقه، ورعاية الأبناء والبيت.

– ومن وصية امرأة توصي ابنها:

" أي بني إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ عرضًا."

الوصية في العصور الإسلامية:

حين جاء الإسلام، كان التركيز على الوصية من جانبها الديني والتشريعي والأخلاقي، فقد جاء جذر "وصي" في القرآن الكريم أكثر من عشرة مواضع، تنوعت ما بين وصايا الله لعباده من حيث الإيمان والاعتقاد وتقسيم التركات ومعاملة الوالدين بالحسنى، والأنبياء لأتباعهم وأبنائهم، وكلها في إطار أخلاقي وتشريعي وتوجيهي بحت، يقول تعالى في سورة البقرة: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (130) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(131).

ولم تقتصر الوصايا على القرآن الكريم وحده، بل في كلام النبي – صلى الله عليه وسلم– أيضا كمٌّ هائل من الوصايا الخاصّة والعامة المنبثقة من مَعين الوحي، منها ما كان لأزواجه وأصحابه ولعموم المسلمين، وما كان في رسائله إلى الملوك والأقوام الأخرى، وقادة سراياه، وكانت وصيته في خطبة الوداع من أشهر وأجلى وصاياه إذ وُجِّهت لعموم الصحابة والمسلمين حتى قيام الساعة، وقد جاء فيها:

" **أيها الناسُ، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا. أيها الناسُ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا."...**

وقد صدق حدسه – صلى الله عليه وسلم–، فقد توفي بعد حجة الوداع بأشهر قليلة، وصارت وصيته تلك تشريعا وتوجيها باقيا إلى يومنا هذا.

الوصية السياسية:

سار الصحابة من بعده –صلى الله عليه وسلم– ينتهجون خُطاه في التوصية والوصية للمسلمين عامة، ولأولادهم وذويهم خاصة، وقد أوصى أبو بكر – رضي الله عنه– حين حضره الموت عمر بن الخطاب قائلا: "**إني مُستخلفك وموصيك بتقوى الله يا عمر، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل، واعلم أنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة، وأنه إنما ثقُلت موازين مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق.**"...

وسار الأمويون والعباسيون من بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة في الوصية لخلفائهم والقادمين لتولِّي مقاليد الأمور من بعدهم، وصية تهدف إلى عز الدولة، والسياسة الراشدة الحكيمة، والتعريف بموازين القوى بين العرب والفرس وغيرهم من الأعراق والملل، وكيفية التعاطي مع ذلك كله باللين والرشد، أو بالشدة والعسف إن اقتضى الأمر.

ولعل وصية الخليفة **أبي جعفر المنصور** العباسي لابنه **عبد الله المهدي** تُعَدُّ من أشهر وصايا الخلفاء العباسيين لأبنائهم، وقد جاء فيها: "**يا أبا عبد الله... اتق الله فيما أعهدُ إليك من أمور المسلمين بعدي، يجعل لك فيما كرَبك وحزنك مخرجا، ويرزقك السلامة وحُسن العاقبة من حيث لا تحتسب، احفظ يا بني محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته، يحفظ الله عليك أمورك، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم، وعار في الدنيا لازم مقيم... وأعد الرجال والكراع والجند ما استطعت، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غدٍ، فتتدارك عليك الأمور وتضيع.**"...

وإذا كانت الوصية قد دخلت ميدان السياسة، وأضابير الحكم، والغرف المغلقة، وصارت لونا على الأداء السياسي، بل وُجِد لون من ألوان التصنيف في هذا المضمار سُمِّي بـ "الآداب السلطانية" أو "مرايا الأمراء" ظهر منذ عصر الغزنويين والسلاجقة والأيوبيين والمماليك والعثمانيين، فيه أنار الفقيهُ عقلَ السلطان ووعيه، وأرشده إلى ما يجب أن يلزمه في تدبير الملك وشؤون السياسة من الأخلاق والحيل والحكم، فإن الوصية أيضا ظلّت ترتقي في مضمار الأدب، وبين العلماء والفقهاء والصوفية والشعراء.

واشتهرت في أبواب هذه العلوم **وصايا العلماء لأبنائهم وتلامذتهم**، يتناقلها الجيل عن الذي يسبقه، ومن هذه الوصايا انبثقت منهجيات العلوم، لا سيما علم مصطلح الحديث، وتحمل الرواية، وتقعدت القواعد التي يجب أن ينتهجها طالب العلم في مضمار علمه، ليصل إلى درجة الرسوخ والترقي، ولتستمر دائرة العلم وقواعده وأخلاقياته دون تحيُّز أو تدليس.

أهم خصائص الوصية الفنية:

- دقة العبارة.
- وضوح الألفاظ.
- قصر الجمل والفقرات.
- الإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.
- تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء.
- الإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.
- الإيقاع الموسيقى ممثلاً في السجع والجناس.